﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧﴾ [طه: 87]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

كلُّ عذر يتعلَّل به من كفر بعد إيمانه مرفوض، مردود عليه

لمَّا عنَّف موسى عليه السلام في الآيات السابقة بني إسرائيل بسبب ارتدادهم وعبادتهم العِجل - اقتضى ذلك منهم أن يُقدِّموا له هنا اعتذارهم عن ذلك، وأن يتعللوا بالأعذار المُمكنة وإن كانت واهيةً، ومنها أنهم غُلِبوا على أنفسهم، وأنهم لم يملكوا لذلك دفْعًا؛ فكان ما كان.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِمَلۡكِنَا﴾: (ملك) أَصْلٌ يَدُلُّ على قوّةٍ في الشَّيْءِ وصِحَّةٍ، يُقالُ: أَملَكَ عَجينَهُ: قَوّى عَجْنَهُ وشَدَّهُ، ومَلَّكْتُ الشَّيْءَ: قَوّيْتُهُ[1]، والمعنى المحوريُّ: إمساكٌ أو امتساكٌ بشدَّةٍ أو قوةٍ مع شمولٍ، ومِلاكُ الأَمر: قِوامه، وخلاصته، أَو: عنصره الجَوْهَري، يُقال: القلب ملاك الجَسَد[2]، والمقصود بقولهم ﴿بِمَلۡكِنَا﴾ أيْ: بإرادتنا الحُرَّة.

2) ﴿أَوۡزَارٗا﴾: (وزر) أَصْلانِ صَحيحانِ: أَحَدُهُما المَلْجَأُ، والآخَرُ الثِّقَلُ في الشَّيْءِ، الأَوّلُ الوزَرُ: المَلْجَأُ[3]، والأوزار: الأثْقال؛ من ذلك قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ [محمد: 4]؛ معناه: أثقالُها"[4]، وفي بعض المعاجم: "أَوْزَرَ الشَّيْءَ: ذَهَبَ به، واسْتَوْزَرَ: نَحْوُه"[5]، وعليه يكون المقصود ما ذهبوا به، والمقصود بالأوزار في الآية الأثقال؛

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ملك).
(2) جبل، المُعجم الاشتقاقيُّ المُؤصَّل: (ملك).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (وزر).
(4) الأنباري، الزَّاهر: (وزر).
(5) ابن عبّاد، المحيط: (وزر).

وهي الحُليُّ الذي كان بنو إسرائيل قد استعاروها من القبط قبل خروجهم مع موسى عليه السلام.

3) ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾: (قذف) أَصْلٌ يَدُلُّ على الرَّمي والطَّرْحِ[1]، والمعنى المحوريُّ: دَفْعٌ بغلظٍ إلى مسافةٍ بعيدةٍ؛ كالسفينة في الماء بجريها مع ضخامتها[2]، وقَذَفَ بالحِجارَةِ يَقْذِفُ بالكسرِ قَذْفًا: رَمَى بها يُقالُ: هُم بَيْنَ حاذِفٍ وقاذِفٍ، فالحاذِفُ بالعَصا، والقاذِفُ بالحِجارةِ، نَقله الجَوْهَريُّ، ويُقالُ أَيضًا: بَين حاذٍ وقاذٍ، على التَّرخيم، وقالَ اللَّيْثُ: القَذْفُ: الرَّميُ بالسَّهْمِ والحَصَى والكَلامِ وكُلِّ شيءٍ[3]، والمقصود في الآية: ألقيناها ورميناها.

4) ﴿أَلْقَى﴾: (لقي) أُصولٌ ثَلاثَةٌ: أَحَدُها يَدُلُّ على عِوجٍ، والآخَرُ على تَوافي شَيْئَيْنِ، والآخَرُ على طَرْحِ شَيْءٍ[4]، والمعنى المحوريُّ: تحصيلٌ بالمقابلة مواجهةً أو تماسًّا؛ أيْ: بقوَّةٍ[5]، ولَقَّاهُ الشَّيءَ تَلْقِيَةً: أَلْقاهُ إِلَيْه، وبه فسَّر الزجَّاجُ قولَه تَعالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل: 6]؛ أي: ﴿يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 86] القُرْآن وحْيًا مِن عِنْدِ اللّه تَعالَى[6]، والإِلْقاءُ: طرحُ الشَّيء حيث تلقَّاه؛ أي: تراه، ثم صار في التّعارف اسمًا لكلِّ طرح[7]، وهو المعنى المُراد في الآية الكريمة.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

الاعتذار عن الكفر بعد الإيمان مما لا يُعذَر فاعله

في هذه الآية الكريمة بدأ بنو إسرائيل "يعتذرون بالعُذْر البارد، يخبرونه عليه السلام عن تورُّعِهم عما كان بأيديهم من حُليّ القِبط، الذي

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قذف).
(2) جبل، المُعجم الاشتقاقيُّ المُؤصَّل: (قذف).
(3) الزَّبيديّ، تاج العروس: (قذف).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (لقى).
(5) جبل، المُعجم الاشتقاقيُّ المُؤصَّل: (لقى).
(6) الزَّبيديّ، تاج العروس: (لقى).
(7) الراغب، المفردات: (لقى).

كانوا قد استعاروه منهم، حين خرجوا من مصر"[1]. "قالوا: ما فعلنا ذلك باختيارنا، ولكنا كنَّا نحمل أَعباءً وأحمالًا مِن ذهب المصريين فظنَنَّاها موضعًا للمؤاخذة؛ لأنها ليست ملكًا لنا، وإنما استعرناها من المصريين في عيدنا لنردها إليهم بعد حين، فألقينا بها في النار تخلصًا منها كما فعل السَّامريّ وكما أَمَرَنا"[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة الفصل في الآية:

فُصلتْ هذه الجملة عما قبلها لأن جملة ﴿قَالُواْ﴾ للاستئناف البياني؛ لأنها " جرَتْ في المحاورة جوابًا عن كلام موسى ﷺ "[3]، فبين الآيتين كمال اتصال.

مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا﴾:

ينال الصالحَ من غبار ذنوب الطالح ما يوجب عليه منعَه منه

الضمير في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا﴾ يعود إلى "الذين لم يَعبدوا العجل فكأنهم قالوا: (إنا ما أخلفنا موعدك بملكنا)، أي: (بأمرٍ كنا نملك)، وقد يضيف الرّجل فعل قريبه إلى نفسه كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [البقرة: 50]، ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: 72] وإن كان الفاعل لذلك آباءهم لا هم؛ فكأنهم قالوا: الشُّبْهة قويت على عَبَدَة العِجل؛ فلم نقدر على منعهم عنه، ولم نقدِر أيضًا على مفارقتهم؛ لأنا خِفْنا أن يصير ذلك سببًا لِوُقوع التفرقة وزيادة الفتنة، أو هو قول عَبَدَة العِجل، والمراد أن غيرنا أوقع الشُّبْهة في قلوبنا، وفاعل السبب فاعلٌ المسبَّب، ومخلِفُ الوعد هو الذي أوقع الشبهة فإنه كان كالمالك لنا"[4].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 310.
(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 6/ 1055.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 283.
(4) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 89.

بلاغة المجاز في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا﴾:

أُسنِد القولُ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا﴾ إلى جميع بني إسرائيل مع أن "القائل بعضهم، الذين تصدَّوْا مجيبين عن القوم كلهم وهم كبراء القوم وأهل الصلاح منهم"[1]، فهو "عامّ يراد به الخاصّ، أي قال الذين ثبتوا على طاعة الله تعالى: ﴿مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾، أي: لم نملِك ردّهم عن عبادة العجل"[2]، وإذا كان ذلك اعتذار أهل الصلاح الذين لم يعبدوا العجل فإنهم فهموا أن اللوم والإنكار موجَّهٌ إليهم جميعًا - مَن عَبَد العجل ومن لم يعبده.

إذا وقعت المعصية توجه اللوم والعتاب على من رآها وسكت عنها

معنى ﴿مَآ﴾:

﴿مَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ نافية، اقتضاها إنكارُ موسى عليه السلام في قوله: ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ ... ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ فنفوا تعمُّدَ مخالفته صريحًا كذلك؛ فبنوا كلامهم على تقديم أداة النفي صريحة.

سر تكرارهم الموعد باسمه الصريح في ﴿مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ﴾:

كرَّرَ المعتذِرون لموسى عليه السلام موعدَه صريحًا في قولهم: ﴿مَوۡعِدَكَ﴾، ومضافًا إلى ضميره، وكان السياق لإضمار الموعد فيقولوا: ما أخلفناه بملكنا.، لكنهم أعادوه منفيًّا بِنَفس الصورة ﴿مَوۡعِدَكَ﴾ مُطابَقَةً لِذِكره في جملة الإنكار: ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾؛ في محاولة للتنصُّل من تلك التهمة الخطيرة، وتأكيدًا على يقظتهم للحفاظ على (موعده) الذي يتهمهم بإخلافه، و"الموعد الذي أخلفوه أنْ وعَدهم أربعين، فعدّوا الأربعين عشرين يوماً وليلة، وظنّوا أنهم قد استكملوا الميعاد، وأسعدهم السامريُّ أنهم قد استكملوه"[3].

من أصول الجواب البناءُ على مقدمات السائل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 283.
(2) النحاس، إعراب القرآن: 3/ 38.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 3/ 418.

بلاغة الطباق بين (الإخلاف) و(الموعد):

الجمع بين الضدين يزيد الحسَن حُسنًا والقبيح قُبحًا

بين (الإخلاف) و(الموعد) في قولهم: ﴿مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ﴾ طباقٌ خفيّ؛ إذ الموعد يتعلق في الغالب بالوفاء، وبين الإخلاف والوفاء طباقٌ؛ فطابَق النظمُ الكريم بين الإخلاف ومتعلَّقِ ضدِّه، ومطابقتهما تستثير النفس بما بينهما من صدمة التضاد، وتُبغض إليها الإخلاف.

معنى (الباء) في قولهم: ﴿بِمَلۡكِنَا﴾:

إنما يملك اتخاذَ القرار سيّدُ نفسِه

(الباء) في قولهم: ﴿بِمَلۡكِنَا﴾ تفيد معنى المصاحبة، أي: لم نُخلف موعدك مستصحبين امتلاك قرارنا في اتخاذ القرار بذلك الإخلاف، وبهذا التأويل يتأكد رأي عبد القاهر القائل بأن النفي الداخل على جملة فيها قيد يمحِّض النفي ويصوِّبه على القيد بخاصة[1]، والقيد هنا بالجارِّ والمجرور ﴿بِمَلۡكِنَا﴾؛ فيكون النفي بـ ﴿مَآ﴾ في قولهم: ﴿مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ مسلَّطًا عليه...

كما تفيد (الباء) في قولهم: ﴿بِمَلۡكِنَا﴾ معنى السببية، أي: لم نُخلف موعدك متسبِّبين به إلى ذلك الإخلاف، متعمِّدين إياه، معتمدين عليه، وهكذا يصطفي النظم الكريم من الأدوات والعناصر التركيبية ما يلملم معاني القوم وما حاولوا الإيحاء به معتذرين.

سر التعبير بالملك دون الإرادة:

الانهماك في طلب الدنيا يؤدي إلى الخطرِ في الدين

عبّر قوم موسى عليه السلام بصريح لفظ (الملك) دون الإرادة في قولهم: ﴿مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ لِتسليط النفي على أخصّ ألفاظ القُدرة على الإخلاف؛ وهو القدرة على امتلاك القرار، والمعنى: (لم يقع منا "بِطاقَتِنا، أو لم نملك اختيارنا، أو لم نملك

(1) قال رحمه الله تعالى: "مِن حُكْم النفي إذا دَخل على كلامٍ، ثُمَّ كان في ذلكَ الكلام تقييد على وَجْهٍ من الوجوهِ، أن يتوجَّه إلى ذلكَ التقييدِ، وأن يقعَ له خصوصًا"، ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 279.

أنفسنا)"[1]، وبهذا حاولوا نفْي القضية من أصلها، ونفْضها عنهم بالكليّة، قال القشيري: "وكذلك الحرامُ من حطام الدنيا لا يَخلو من شؤم أثره؛ فلقد كانت الغنيمة وأموال المشركين حرامًا عليهم، فاستعاروا الحُليَّ من القبط، وآل إليهم ما كان في أيديهم مِن الملك، فكان سبب عبادتهم العجل، كذلك مَن انهمك في طلب الدنيا مِن غير وجهٍ حلال، يكون على خطر من رقّة دينه، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: 23]"[2].

توجيه القراءات في قولهم: ﴿بِمَلْكِنَا﴾:

المبالغة في الاعتذار عن الجُرْم الذي كان منهم

قَرَأَ نافع وأبو جعفر وعاصِمٌ بِفَتْحِ الميم ﴿بِمَلْكِنَا﴾، وقَرَأَ حَمزَةُ والكِسائيُّ وخَلَفٌ بِضَمِّها ﴿بِمُلْكِنَا﴾، وقَرَأَ الباقونَ بِكَسْرِها ﴿بِمِلْكِنَا﴾.

فمَنْ قَرَأَ ﴿بِمَلْكِنَا﴾ فهو مَلْكُ الرجل، تقول لكل شيء ملَكْتَه: هذا مِلْكُ يميني، ومن قرأ بالكسر ﴿بِمِلْكِنَا﴾ فمعناه: ما ملكته؛ أي: بقُدْرتنا، ومَنْ قَرَأَ ﴿بِمُلْكِنَا﴾ فمعناه: بِسُلْطاننا[3].

وعلى ما في المعاني الثلاثة من تقارب إلا أنه يبيّن عن شِدَّةِ اعتذار قوم موسى ﷺ عن فِعلتهم، فكأنّهم يقولون: (ما مَلَكْنا الصواب بفعلنا، بل أخطأنا، وكان ذلك فوق قدرتنا وطاقتنا بسبب ما كان من مَكْر السّامريّ وإضلاله).

وإن كان هذا اعتذارَ الصالحين عن جريمة المرتدّين فمعناه: "(لم نُطِقْ ردَّ عَبَدَةِ العجل مِن عظيم ما ارتكبوا لكثرتهم وقلتنا)، وقد جاء في الرواية أن الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر ألفًا، وافتتن الباقون بالعجل، وكانوا جميعًا ستَّ مائة ألف"[4].

(1) النيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن: 2/ 552.
(2) القشيري، لطائف الإشارات: 2/ 471.
(3) الأزهري، معاني القراءات: 2/ 157.
(4) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 217.

معنى (الواو) في: ﴿وَلَٰكِنَّا﴾:

(الواو) في ﴿وَلَٰكِنَّا﴾ للعطف، أو الاستئناف، والقوم "فسَّروا العُذر المجمل، فقالوا: ولكنَّا حُمِّلْنا أوزارًا من زينة القوم"[1]، أو الواو للحال؛ أي: والحال والواقع أنه حصل كذا وكذا؛ فلا تلُمنا.

توجيه التعبير بـ ﴿وَلَٰكِنَّا﴾:

في اقتطاع مال الناس بأي حيلة مذمّة على فاعله

أفادت ﴿وَلَٰكِنَّا﴾ في قولهم: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾ "استدراكًا عما سبق، واعتذارًا ببيان منشأ الخطأ، أي: (حملنا أحمالاً مِن حُليّ القبط التي استعرناها منهم، حين هممنا بالخروج من مصر باسم العُرْس)، وقيل: كانوا استعاروها لِعيدٍ كان لهم، ثم لَم يردّوها إليهم؛ مخافة أن يقفوا على أمرهم، وقيل: لَمَّا رَمَى البحرُ أجسادَ القبط وكان غالبُ ثيابهم الذهبَ والفضة - التقطها بنو إسرائيل، فهي زينة القوم التي صيغ منها العِجل"[2]، و"الاستدراك راجعٌ إلى ما أفاده نفْي أنْ يكون إخلافُهم العهد عن قصدٍ للضلال، والجملة الواقعة بعده وقعتْ بإيجاز عن حصول المقصود من التنصُّل مِن تَبِعَة نكْث العهد.

توجيه القراءات في قولهم: ﴿حُمِّلْنَآ﴾:

تنوُّع القراءات يُثري الدلالات

قُرئ الفعل ﴿حُمِّلْنَآ﴾ بفتح الحاء والميم المخفّفة: ﴿حَمَلْنَآ﴾ بإسناد الحمل إليهم وهي قراءة أبي عمرو وشعبة وحمزة والكسائي ورَوْح وخلف، وبضمّ الحاء وتشديد الميم المكسورة: ﴿حُمِّلْنَآ﴾، وهي قراءة الباقين[3]، "على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، أَي: أُمِرْنا بِحَملها، وحمَّلَنا السامريُّ"[4].

"فمن قرأ بالتخفيف فمعناه: حَمَلْنا مع أنفسنا ما كُنَّا استعرْناه مِن القوم، ومَن قرأ بالتشديد فمعناه أنّ موسى ﷺ حمَلهم على

(1) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 89.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 411.
(3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 322.
(4) ابن زنجلة، حجة القراءات: ص462.

ذلك، أي: أمرهم باستعارة الحُليِّ والخروج بها، فكأنه ألزمهم ذلك، أو: جَعلنا كالضامن لها إلى أنْ نؤدّيها إلى حيث يأمرنا الله تعالى، أو: أنّ الله تعالى حمَّلهم ذلك، على معنى أنَّه ألزمهم فيه حُكْم المَغْنَم"[1].

سر التعبير بالأوزار دون الأحمال:

النظم القرآني يصطفي من المفردات أعظمها دلالات

التعبير بالأوزار دون الأحمال في قولهم: ﴿حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾ يمُدّ السياق بفيْض من المعاني والدلالات لا يمدّه به التعبير بالأحمال، فمن دلالات ﴿أَوْزَارًا﴾: الإشارة إلى أنها "تبعاتٌ وآثامٌ حيث لم تكن الغنائمُ تحِلّ حينئذ"[2]، وأنها "حليّ القبط التي استعرناها منهم"[3]؛ وسمّيت ﴿أَوْزَارًا﴾ "لكثرتها"[4]، ثم في اصطفاء التعبير بالأوزار أيضا تلوينٌ للأسلوب؛ وذلك بذكر التحميل في ﴿حُمِّلْنَآ﴾، وذكر الأوزار في ﴿أَوْزَارًا﴾ فذُكِرا معا، ولو جاء المفعول (أحمالًا) - في غير القرآن الكريم - لحصل التكرار هكذا: ولكنَّا حمِّلنا أحمالًا، وذلك ثقيل - كما ترى.

بلاغة تنكير ﴿أَوْزَارًا﴾:

الفطِن يتبصَّر آثار قراره قبل اتخاذه فلا يزِلّ، وغيره ينزلق فيضلّ

حاول المعتذِرون بتنكير ﴿أَوْزَارًا﴾ إقناعَ موسى عليه السلام بكثرة تلك الأوزار وثِقَلها؛ إلى درجة أنهم اضطروا إلى قذفها والرمي بها؛ مما ترتَّب عليه استغلالُ السامريِّ الموقفَ وصناعة العجل، وإيهامهم وخداعهم بأن هذا العجل هو الإله الذي ذهب موسى عليه السلام للقائه، وأن "السَّامريّ قال لهم: إنّها أوزار الذنوب، والمال الحرام؛ فانبذوه في النَّار، وكان صائغًا"[5]؛ وأنهم وثقوا فيه ففعلوا، فسقطوا في مهاوي الشرك.

(1) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 89.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 35.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 82.
(4) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 89.
(5) النيسابوري، محمود بن أبي الحسن، إيجاز البيان عن معاني القرآن: 2/ 553.

دلالة جمع الأوزار:

كثرة متاع الدنيا أوزارٌ تُثقل ولو كانت حلالًا

ويلتقي مع تنكير ﴿أَوۡزَارٗا﴾ في قولهم: ﴿حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا﴾ جمعُها؛ لتأكيد ضعفهم عن مقاومة أسباب الردّة إلى عبادة العجل؛ فقد "كانت كثيرة من جهة، وكانت نهبًا واختطافًا من جهة أخرى"[1]؛ فكان الثِّقَل حسّيًّا ومعنويًّا؛ وذلك فيما يحسبون أعذارٌ مقبولة، ولكن الشرك بالله تعالى لا عُذر له.

معنى ﴿مِّن﴾ في قولهم: ﴿مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾:

﴿مِّن﴾ هنا للتبعيض؛ فتفيد بطريق الكناية أن القِبط كانوا ينهبون الذهب، فكل ما استعاره منهم اليهود، وما قذفه البحر إلى الساحل بعد غرقهم فيه - بعضُ ما لديهم من زينة.

معنى (أل) في ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾:

(أل) في ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ عهدية، أي: القِبط الذين غرقوا، "يعني ما أخذوا مِن قوم فرعون حين قَذَفَهم البحرُ مِن الذهب والفضة، فكذلك فعل السامري فاتَّبَعناهُ"[2].

دلالة (الفاء) في قولهم: ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾:

سرعة استجابتهم لإضلال السامري

(الفاء) في قولهم: ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ عاطفة، تفيد الفورية والمباشَرة، أي أنهم قذفوا أوزار الزينة وأحمالها في النار فور عِلمهم بأنها سببٌ للآثام، أو فور علمهم أنها سببُ احتباس موسى ﷺ عنهم، يعتذرون بأنهم لم يحتفظوا بها، بل فرّطوا فيها تحقيقًا للصواب الذي أقنعهم به السَّامريّ.

سر استعمال مفردة القذف دون الرمي:

أهل الضلال يتخذون من القيم الطيبة ذريعة إلى فرض ضلالهم

في تعبير القوم بمفردة القذف دون الرمي في قولهم: ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ إيحاء بهوان تلك الزينة عليهم، وزُهدِهم في الإبقاء عليها؛ برغم

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 8/ 818.
(2) الفراء، معاني القرآن: 2/ 189.

نفاستها المفهومة من تنكيرها، وكثرتِها المأخوذة مِن جمعها في ﴿أَوۡزَارٗا﴾، و﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ يعني: ألقيناها ورميناها، أي: "في النار؛ طلبًا للخَلاص مِن إثمها، وقيل: المعنى: (طرحناها إلى السامري لِتبقى لديه حتى يرجع موسى ﷺ فيرى فيها رأيه)"[1].

لطيفة حَذْف متعلّق القذف:

حُذِف متعلِّق القذف في قولهم: ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾؛ ولا بُدَّ من مكان يُقذَف فيه المقذوف، وقد "ذكروا في تحديد ذلك الموضع وجوها، منها أنها "حفرة كان هارون ﷺ أمَرهم بِجَمع الحُليّ فيها؛ انتظارًا لِعَوْدِ موسى ﷺ، أو: قذفوها في موضعٍ أمَرَهم السامريُّ بذلك، أو: قذفوها في موضعٍ جَمع فيه النار"[2]، ولطيفة حذف هذا المتعلق قصدهم توفير عنايته ﷺ على دلالة القذف والتخلُّص من الحرام، بغضّ النظر عن مكانه، وعدم تعلُّق ذهنه بمتعلق القذف.

التخلُّص من الحرام غاية المؤمن بغض النظر عن مكان رميه

معنى الفاء في ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾:

الفاء في قولهم: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ عاطفة[3]، تفيد سُرعة قذف السامريّ ما كان معه فور قذفهم أوزار الزينة، وفي ذلك دَعْمٌ لاعتذارهم؛ وتأكيد على أن خداع السامري إياهم كان محبوكًا، وأنه تمكّن من الإيقاع بهم دون قصْد منهم.

أهل الضلال يتقنون التمويه على ضلالهم

بلاغة التشبيه:

التشبيه في قولهم: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ تشبيه مجمل خاطف، يجمع بين فِعل السامريِّ العام وفِعل القوم في مطلق الإلقاء؛ ذلك أن الإلقاءَيْن مختلفان؛ فبنو إسرائيل ألقَوْا حُليًّا، والسامريّ "أراهم أنه يُلقى حُليًّا في يده مثل ما ألقوا، وإنما أَلقَى التُّرْبة التي

عوام الناس ينخدعون بأفعال كبرائهم

(1) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 449.
(2) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 89.
(3) الدعاس، إعراب القرآن: 2/ 268.

أخذها مِن مَوْطِئِ حَيْزومَ فرسِ جبريل، أوحى إليه وليُّه الشيطانُ أنها إذا خالطتْ مَواتًا صار حيوانًا"[1]، لذلك أجمل النظم التصوير.

لطيفة التعبير باسم الإشارة للبعيد:

عبّر القوم بإشارة البعيد في قولهم: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ إبعادًا لذلك الحدَث المُخزي، وتبرُّؤًا منه، وإيحاءً بإبداء الندم والشعور بالخجل، من خلال لام البعد في إشارة البعيد (ذلك).

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القذف والرمي والإلقاء:

القذف أشدُّ من الرميُ، وكلاهما في المحسوسات والمعنويَّات

"القَذْفُ: الرَمي بقوة، والقَذْف: الرمي بالحجارة"[2]، و"الرَّميُ يقال في الأعيان كالسّهم والحجر، نحو: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، ويقال في المقال، كناية عن الشّتم كالقذف، نحو: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ [النور: 6]"[3]، و"الإلْقاءُ: طَرْحُ الشيء حيث تلقاه، أي: تراه، ثم صار في التّعارف اسما لكلّ طرح، قال: فكَذلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ"[4].

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 82.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قذف).
(3) الراغب، المفردات: (رمى).
(4) الراغب، المفردات: (لقى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»